أهمية السيطرة على مأرب في خارطة الصراع اليمني: معركة وجود

عايدة باري
خبيرة دراسات الخليج في أورسام

مأرب تعد المقر الرئيسي لتصدير النفط اليمني، سواء على الصعيد الوطني أو الدولي. وتحوي مأرب منابع للغاز الطبيعي اليمني. ويقدر مخزون الغاز الطبيعي في مأرب بنحو 18 تريليون قدم مكعب. وفي مأرب توجد المحطة الرئيسية لإنتاج الكهرباء في اليمن.

ما أن أعلن الرئيس الأمريكي بايدن عن إزالة اسم الحوثيين من قائمة الإرهاب، حتى بدأ الحوثيين في توجيه هجوماتهم العسكرية نحو مدينة مأرب. مأرب التي تعتبر ملاذاً وملجأً لمئات الآلاف من اليمنيين الفارين من العنف. ولكنها باتت اليوم تتعرض لهجومات شديدة من جماعة الحوثي، مما فاقم من المعاناة الإنسانية لسكان هذه المدينة. ما الذي يدعو الحوثيين

للهجوم على مأرب؟ وما الذي يجعل قوات الحكومة اليمنية الشرعية تستميت في الدفاع عن هذه المدينة؟ ماذا تعني مأرب للحوثيين؟ وماذا تعني للحكومة الشرعية؟ ماذا لو سقطت مأرب في يد الحوثيين؟

وقبل الإجابة عن كل هذه الأسئلة، جدير بنا أن نذكر أن مأرب تحوي كثير من المنشآت الحيوية والثروات القومية اليمنية والتي تعتبر عصب الحياة في اليمن. فإن مأرب تعد المقر الرئيسي لتصدير النفط اليمني، سواء على الصعيد الوطني أو الدولي. وتحوي مأرب منابع للغاز الطبيعي اليمني. ويقدر مخزون الغاز الطبيعي في مأرب بنحو 18 تريليون قدم مكعب. وفي مأرب توجد المحطة الرئيسية لإنتاج الكهرباء في اليمن.

أن مأرب تعتبر مركزا لقيادة الجيش الوطني اليمني وسقوط مأرب يعتبر سقوط للحكومة الشرعية اليمنية. مأرب تعتبر آخر المعاقل الحقيقية للحكومة الشرعية وآخر مناطق سيطرتها الفعلية في الأراضي اليمنية.

كما أن مأرب تعتبر السلطة الرسمية للحكومة الشرعية. معركة مأرب ستحدد مصير اليمن والعملية السياسية فيها، فالحكومة الشرعية تسعي لكسر شوكة الحوثيين وذلك لإرغامهم للدخول في مفاوضات وهم في موقف المهزوم. سقوط مأرب في ايدي الحوثيين يعني خسارة كبيرة للحكومة الشرعية، مما سيؤثر سلبا على موقفها في أي مفاوضات مستقبلية. وخسارة معركة مأرب يهدد وجود الحكومة الشرعية.

والعكس بالنسبة للحوثيين، فسقوط مأرب في يد الحوثيين سيمهد الطريق للحوثيين السيطرة على باقي المحافظات الجنوبية مثل شبوة. يراهن الحوثيون على الانتصار في مأرب لأن السيطرة على مأرب والتي تعتبر فرصة لهم لتحسين موقفهم في أي مفاوضات قادمة. كسب معركة مأرب تعتبر فرصة لتغيير قواعد التفاوض.

لقد قرأ الحوثيين قرارات بايدن بما يخص اليمن بشكل جيد، وفهموا بأن السياسة الامريكية ستسعى الى إيجاد حل سلمي لليمن. لقد أيقن الحوثيون أن أي حل لحرب اليمن سيكون على أساس سيطرة "الأقوى" على الأرض. الحوثيين يدركون جيداً ان الحرب في اليمن بالنسبة للولايات المتحدة أصبحت مجرد ورقة تفاوضية، ومبادرة حسن نية من الأمريكان تجاه إيران. وبناء على ذلك بدأوا بهجومهم العسكري على مأرب، لتوسيع تواجدهم على الأرض وإجبار المجتمع الدولي للتعاطي معهم على أساس وجود مأرب تحت سيطرتهم. إضافة الى أن الحوثيين

يعون تماماً أهمية مأرب الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية. الحوثيون يعلمون تماماً انهم بسيطرتهم على مأرب سيجنون ما يعادل 700 مليون دولار كإيراد سنوي من عائدات هذه المدينة، فالحوثيين بحاجة شديدة للمال لتمويل عملياتهم الحربية، وتمويل تحالفاتهم القبلية وعمليات التجنيد.

علاوة على ذلك يهدف الحوثيون من السيطرة على مأرب إلى قطع الطريق أمام أي محاولة للوصول الى العاصمة صنعاء. ويعلم الحوثيون أن فرض تسوية في اليمن ستكون ضمن المفاوضات بين الولايات المتحدة وإيران، وبسيطرتهم على مأرب ستكون خطوة استباقية لتحقيق مكاسب سياسية في تلك المفاوضات المرتقبة. ربما كان الحوثيين قد اختاروا توقيتاً مناسباً للهجوم على مأرب ومحاولة السيطرة عليها. قرارات بايدن بما يخص الحرب في اليمن وبما يخص طبيعة علاقة الأمريكان بالسعودية، سهلت مهمة الحوثي في الهجوم على مأرب. تأتي معركة مأرب في ظروف صعبة بالنسبة السعودية بما يخص الصراع في اليمن.

ان احتمال فشل الحوثيين وعدم تمكنهم من الفوز بمعركة مأرب، يعتبر تفوق للحكومة اليمنية الشرعية، وفرصة ثمينة لفرض شروطها في المفاوضات، ويعني أيضاً كبح جماح الحوثيين السياسي، والتقليل من قدرتهم على المساومة في أي مفاوضات مستقبلية، ويعني أيضاً إضعافهم في أعين القبائل اليمنية، مما قد يشجع القبائل إلى تنظيم انتفاضة ضد الحوثيين. وبالعكس، احتمال كسب الحوثيين لمعركة مأرب وسيطرتهم عليها، يعني السيطرة الدائمة للحوثيين على مستقبل اليمن. كما أن موقف المجلس الانتقالي في الجنوب مهم جداً في سياق قضية الصراع المسلح للسيطرة على مأرب، فبالنسبة للمجلس الإنتقالي الجنوبي فان سقوط مأرب في يد الحوثيين يعتبر فرصة قوية لدعم مطالبته بانفصال الجنوب.

هذا بالنسبة لمواقف القوى المحلية في اليمن بما يخص معركة مأرب. أما القوى الإقليمية مثل السعودية وإيران، فمواقفها تشبه إلى حد بعيد موقف القوى المحلية. فالسعودية تشترك مع الحكومة الشرعية في تخوفاتها بما يخص سقوط مأرب في يد الحوثيين. وكما أن سقوط مأرب يعتبر سقوط

للحكومة الشرعية وفقدانها لآخر معاقلها، فإن سقوط مأرب يعتبر بالنسبة للمملكة العربية السعودية هزيمة لها في حربها في اليمن. وهذا يعني مواجهتها لتهديد مستمر لأمنها القومي، لأن وجود الحوثي على حدودها يعني وجود إيران كمهدد لها ولأمنها القومي، وذلك لأن جماعة الحوثي تعتبر امتداد لإيران، بل هم ممثلين للسياسات والمصالح الإيرانية منطقة الخليج والجزيرة العربية. لذلك سقوط مأرب في يد الحوثيين سيقوض أمن السعودية، ويجعلها عرضة لأي هجوم حوثي - إيراني مستقبلي.

من جهة أخرى، فإن سقوط مأرب في يد الحوثيين يعتبر نصراً مهماً لإيران. إن إيران تعتبر مأرب قاعدة عسكرية سعودية وبسيطرة الحوثيين عليها يعتبر نهاية للوجود السعودي في اليمن. إضافة الى أن إيران ستزيد قوتها في المنطقة بسيطرة الحوثيين على مأرب، وكل ذلك سيصب في مصلحة وضعها التفاوضي بما يخص الإتفاق النووي الإيراني مع الولايات المتحدة. بسقوط مأرب في ايدي الحوثيين، فان إيران ستفرض نفسها كشريك أساس في صياغة أي حل للصراع في اليمن.

في النهاية، ان معركة مأرب تعتبر معركة مهمة وفاصلة في تاريخ الصراع في اليمن. مأرب تعتبر من أهم المعارك بالنسبة للحوثيين، وهي معركة وجود بالنسبة للحكومة الشرعية.

سقوط مأرب في أيدي الحوثيين يعني انتصار للحوثيين على الصعيد السياسي وتحسين لموقفهم في أي مفاوضات مستقبلية، وأيضا يعتبر انتصار وقوة لهم على الصعيد الاقتصادي وذلك بتوفير مصادر مالية لهم والتي سيجنونها من السيطرة على النفط. إضافة الى انتصارهم على الصعيد الاجتماعي، وذلك لأن انتصارهم سيشجع قبائل أخرى من أجل عقد تحالفات معهم لأنهم سيكونون الطرف الأقوى على الأرض.

أما بالنسبة للحكومة الشرعية، فإن خسارة مأرب تعتبر خسارة للحكومة للشرعية في كل اليمن. وهذا يتمثل في خسارتها السياسية وإضعاف موقفها التفاوضي في أي مفاوضات قادمة. وخسارة اقتصادية بفقدها السيطرة على مصادر النفط، وخسارة اجتماعية، ويتمثل ذلك في ان بعض القبائل سترى في الحكومة الشرعية طرفاً ضعيفاً لا يعتمد عليه، مما يجعلهم يلجؤون لفك الارتباط والتحالف مع الحكومة الشرعية، ومحاولة عقد صفقات تحالف مع الحوثيين. معركة مأرب تعتبر معركة وجودية بالنسبة للحكومة الشرعية اليمنية. كسبها يعتبر تعزيزا لوجود الحكومة الشرعية، وخسارتها يعني خسارة وجودها. كذلك الحال بالنسبة للمملكة العربية السعودية، فإن خسارة مأرب سيعتبر خسارة للسعودية للحرب في اليمن وخسارة لوجودها، وإضعاف موقف السعودية في أي مفاوضات تخص حل الصراع في اليمن.

خلاصة القول إن معركة مأرب تبدو معركة وجودية، ليس فقط للحكومة الشرعية ولكن أيضا للحوثيين. إضافة الي انها تعتبر معركة وجودية للنفوذ الإيراني والسعودي في اليمن. فمأرب هي الفيصل في تاريخ الصراع اليمني. نتيجة الحرب فيها سيحدد مستقبل اليمن كلها، بل مستقبل منطقة الخليج، وسيرسم معالم الطريق للقوى الإقليمية في المنطقة. ■